

المبهمات الڪانية

في نماذج من قصص الأنبياء والامم السابقة في القرآن الڪريم.

دراسة بلاغية

د. عطا الله بن جضان بن سمير العنزي

كلية العلوم والآداب برفحاء - جامعة الحدود الشمالية



المبهمات المكانية في نماذج من قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن الكريم. دراسة بلاغية

د. عطا الله بن جضعان بن سمير العنزي
كلية العلوم والآداب برفحاء - جامعة الحدود الشمالية

تاريخ تقديم البحث: ٢٣/٣/١٤٤٥ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٠/٤/١٤٤٥ هـ

ملخص الدراسة:

هذا البحث يدرس الظواهر البلاغية في شواهد المبهمات المكانية في نماذج من قصص الأنبياء، وقصص الأمم السابقة في القرآن الكريم، ويبين الفائدة من إهامها، فيعرض الشواهد، ويبين معناها، ويناقش أهم الظواهر البلاغية فيها، ويستخرج الأسرار والفوائد والأغراض البلاغية منها، ويقف على أهم الأساليب البلاغية التي كان لها دور بارز في إبراز المعاني والأفكار، وهذا كله مما يساعد على التأمل والنظر في الإعجاز القرآني.

وقد جاء هذا البحث في تمهيد ومبحثين، تمهيد فيه نبذة عن: علم المبهمات، وأنواعه، وأهم من تحدث فيه، وأسباب الإهام، وعن القصة القرآنية، وأغراضها، ومبحث أول فيه دراسة لشواهد المبهمات المكانية في قصص الأنبياء -عليهم السلام-، ومبحث ثانٍ فيه دراسة لشواهد المبهمات المكانية في قصص الأمم السابقة.

الكلمات المفتاحية: المبهمات - المكانية - القصص - القرآن - البلاغة - الإعجاز.



Unspecified Places in Stories of Prophets and Ancient Nations in the Ever-Glorious Qura A Rhetorical Study


Dr. Atallah Gadaan Sameer Alenazi
Faculty of Arts and Sciences - Rafha
Northern Border University

tract:

This research examines the rhetorical aspects of unspecified places in the Quranic stories of the Prophets and ancient nations. It, further, explores the benefits elicited from such places being unspecified. The research presents evidences, elaborates on their meanings, discusses their rhetorical significance, and extracts the secrets, benefits, and rhetorical purposes. It also explores significant rhetorical techniques in the Quranic stories to emphasize meanings and ideas and how this contributes to contemplation about and reflection on the Quran's miraculous nature .

This study consists of an introduction and two sections. The introduction provides an overview of unspecified items, including their types, pioneering figures in the field, causes of unspecified places, and the significances of Quranic narratives and their purposes. The first section focuses on studying the evidences of these items in the narratives of the Prophets. The second section examines the evidences of these items in the stories of ancient nations.

Keywords: Unspecified places, Quran, stories, rhetorical, miracles



المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، مجري السحاب، هازم الأحزاب، خالق الناس من تراب، والصلاة والسلام على خير من صلى وتاب، وجميع الآل والأصحاب، ومن تبعهم إلى يوم المآب، وبعد:

فمن الأمور التي يسعد بها الإنسان مدارس الكتاب المبين، والنظر في كلام رب العالمين، وصرف الأوقات والأعمار في تدبره، والتفكير في آياته، وتفسير كلماته وغريبه، وكشف بلاغته، وبيان إعجازه.

ومن علوم القرآن الكريم التي تستحق التدبر والتأمل فيها، هو علم المبهمات، ولقد اهتم به العلماء والمفسرون اهتماماً كبيراً، وألفوا فيه مصنفات عديدة، فكشفوا عن حِكْمه، وبيّنوا أسبابه، وذكروا معانيه، وقد تنوعت المبهمات القرآنية ما بين مبهمات في الأعلام، ومبهمات في الأزمنة، ومبهمات في الأماكن، و مبهمات في الأعداد.

كما أن القصة القرآنية تستوجب الوقوف عندها، والتمعن في أحداثها، والاستفادة من عبرها وعظاتها؛ لمعرفة أسرارها البلاغية، والكشف عن أساليبها البيانية، فالقصة القرآنية تتميز بأساليب عديدة، وسياقات مختلفة، فكانت القصة - ولا تزال - مدخلاً محبباً للنفوس، وبوابة للتأثير في العقول، فهي مليئة بالأساليب والأحداث والمواقف التي تستحق الدراسة والتأمل، ومن هذه الأساليب: أسلوب الإهام، فقد وردت أعلام، وأماكن، وأزمنة، وأعداد مبهمة في القصص القرآني، فهي بحاجة للكشف عنها، وأسباب إهامها، وبيان أسرارها وأغراضها.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث، فاخترت نوعاً من المبهمات القرآنية هو: المبهمات المكانية، واستعرضت شواهدا فوجدت أغلبها مذكوراً في ثنايا القصص، مثل: قصص الأنبياء -عليهم السلام-، وقصص الأمم السابقة، فاخترت أن يكون عنوان هذا البحث: المبهمات المكانية في القصص القرآني، دراسة بلاغية.

مشكلة البحث: يحاول هذا البحث أن يجيب عن التساؤلات التالية: ما أبرز مواطن المبهمات المكانية في قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن الكريم؟ وما الأسرار البلاغية للمبهمات المكانية في تلك القصص؟ وما الفائدة من إبهامها؟ وما مدى تضافر السياق معها للكشف عن الإعجاز البياني للنظم القرآني؟

حدود هذا البحث: شواهد المبهمات المكانية في القرآن الكريم تقارب ستين شاهداً، والمبهمات المكانية الواردة في قصص القرآن بحدود ثلاثين شاهداً، ونظراً لمحدودية عدد صفحات نوعية هذه الأبحاث العلمية، فإن حدود هذا البحث ستكون بعض شواهد الأماكن التي لم تُسمَّ في القصص القرآني، واخترت بعض النماذج الدالة الواردة في قصص الأنبياء -عليهم السلام-، وقصص الأمم السابقة، بداية من سورة البقرة إلى نهاية سورة يوسف، ولو استعرضت كل الشواهد لاحتجت إلى أبحاث عديدة، أو رسالة علمية كاملة.

وأهم أهداف هذا البحث: تسليط الضوء على شواهد الأماكن المبهمة التي لم تُسمَّ في القصص القرآني، ودراستها، وبيان أسرارها البلاغية، وإبراز إعجاز البيان القرآني فيها، والوقوف على أهم الأساليب البلاغية التي كان لها

دور بارز في إبراز المعاني والأفكار.

منهج البحث: تسير هذه الدراسة وفق المنهج التحليلي، القائم على تناول الشواهد، وبيان معناها، وأهم ما فيها من تراكيب بيانية، وأسرار بلاغية، ثم بيان المكان المبهم، وأسباب إبهامه، وسره البلاغي.

الدراسات السابقة: حسب بحثي المتواضع لم أجد دراسة سابقة، أو بحثاً علمياً متكاملًا يدرس شواهد المبهمات المكانية في القصص القرآني دراسة بلاغية، وكل ما وجدته هو دراسات تفسيرية للمبهمات القرآنية، من متخصصين في علوم القرآن، من أهمها:

- بحث "المبهم في القرآن وحكمه" د. محمد عبدالرحمن جعفر، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: ٦٥، الجزء: الأول، شهر ربيع الثاني: ١٤٣٦هـ.

- بحث "كشف البيان عن فوائد وأسرار المبهمات في القرآن" د. حصة الغزال، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، العدد: ٢١، الجزء الأول: ١٤٢٣هـ.

- بحث "المبهمات الزمانية عند ابن جماعة، دراسة تفسيرية" د. عبدالغفور غلام عبدالغفور، مجلة جامعة سامراء المجلد: الحادي عشر، العدد: ٤١، السنة ١١، حزيران: ٢٠١٥م.

- بحث "المبهمات في القرآن الكريم" زيد بن علي مهارش، مجلة جامعة جازان، فرع العلوم الإنسانية، المجلد: الثاني، العدد: الثاني، شهر رجب: ١٤٣٤هـ.

-بحث: "المبهمات الزمانية في القرآن الكريم عند السيوطي، دراسة بلاغية" د. عطاالله بن جضعان العنزى، منشور في مجلة العلوم العربية والإنسانية بجامعة القصيم، المجلد: ١٤، العدد الثاني، شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ. ومن خلال النظر في هذه الأبحاث وجدت أنها تهتم بالدراسة النظرية، والدراسة التفسيرية للمبهمات في القرآن الكريم، ولم تتطرق للدراسة البلاغية، ما عدا الدراسة الأخيرة فهي تهتم بدراسة المبهمات الزمانية التي ذكرها السيوطي فقط.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يبدأ بتمهيد، ذكرت فيه نبذتين مختصرتين عن:

١- علم المبهمات، وأنواعه، وأهم من تحدث فيه، وأسباب الإبهام.

٢- القصة القرآنية، وأهم أغراضها.

ثم قسمت البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: المبهمات المكانية في قصص الأنبياء -عليهم السلام-.

المبحث الثاني: المبهمات المكانية في قصص الأمم السابقة.

وفي الختام أسأل الله الإعانة والتوفيق، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فما كان فيه من صواب فمنه سبحانه، وما كان فيه من خلل أو زلل أو نقصان فمن نفسي والشيطان.

التمهيد

١- تعريف علم المبهمات، وأنواعه، وأهم من تحدث فيه، وأسباب الإبهام.

١- المبهمات لغة: جمع، مفردة: مبهم، وهو اسم مفعول مشتق من أجهم، والإبهام في اللغة هو الشيء المغلق والغامض والخفي، يقول ابن فارس ٣٩٥هـ: "الباء والهاء والميم: أن يبقى الشيء لا يعرف المأتى إليه، يقال: هذا أمر مبهم،... وأجهمت الباب: أغلقته."^(١)، ويقول الجوهري ٣٩٣هـ في الصحاح: "وأمر مبهم: لا مأتى له."^(٢) وعلى هذا فمفهوم المبهم في اللغة يدور حول الخفاء، والإغلاق، والاشتباه، والغموض وعدم الوضوح، وعدم العلم بالشيء.

٢- المبهمات اصطلاحاً:

أول من ذكر تعريفاً للمبهمات في القرآن الكريم هو عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ٥٨١هـ، إذ يقول: "هي ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يُسمَّ فيه باسمه العلم، من نبي، أو ولي، أو غيرهما من آدمي، أو ملك، أو جني، أو بلد، أو شجر، أو كوكب، أو حيوان له اسم علم، قد عرف عند نقلة الأخبار، والعلماء الأخير"^(٣).

وذكر ابن جماعة ٧٣٣هـ في مقدمة كتابه "غرر التبيان في من لم يُسمَّ في القرآن" كلاماً يوضح فيه هدفه من الكتاب، فيقول: "هذا كتاب اختصرت

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس مادة بهم

(٢) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مادة ب ه م

(٣) التعريف والإعلام فيما أجهم من الأسماء والأعلام في القرآن، السهيلي ١٦

فحواه من كتاب سبق لي في معناه، أذكر فيه إن شاء الله تعالى اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته، أو لقبه، أو كنيته، وأنساب المشهورين من الأنبياء والمرسلين، والملوك المذكورين، والمعنيّ بالناس والمؤمنين، إذا ورد لقوم مخصوصين، وعدد ما أجهم عدده، وأمد ما لم يبين أمده" (١).

ثانياً: أهم من تحدث في علم المبهمات:

١- أول من ألف كتاباً في علم المبهمات هو: عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ٥٨١هـ أسماء التعريف والإعلام فيما أجهم من الأسماء والأعلام في القرآن، وهو كتاب مطبوع (٢)

٢- محمد بن علي الغساني ابن عسكر ٦٣٦هـ: ألف كتاباً أسماه التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام وفيه أحق الشواهد التي لم يذكرها شيخه السهيلي، وهو كتاب مطبوع (٣)

٣- القاضي بدر الدين ابن جماعة ٧٣٣هـ: ألف في علم المبهمات كتابين: الأول: التبيان في مبهمات القرآن، وذكره السيوطي ضمن مصادره في مقدمة كتابه: الإتيقان (٤)، وهو مفقود.

(١) غرر التبيان، ابن جماعة ١٩١

(٢) ينظر: التعريف والإعلام فيما أجهم من الأسماء والأعلام في القرآن، السهيلي، تحقيق: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤٠٧هـ.

(٣) ينظر: التكميل والإتمام، محمد بن علي الغساني ابن عسكر، تحقيق: حسن مروة، دار الفكر: دمشق، ط١، عام ١٤١٨هـ.

(٤) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي ٣٤/١

- الثاني: غرر التبيان في من لم يُسمَّ في القرآن، وهو كتاب مطبوع.^(١)
- ٤- محمد بن علي البلنسي ٧٨٢هـ: ألف في علم المبهمات كتاب تفسير مبهمات القرآن، الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل وهو كتاب مطبوع.^(٢)
- ٥- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ، تحدث عن علم المبهمات في كتابه البرهان في علوم القرآن وقد ذكره في النوع السادس، وهو كتاب مطبوع.^(٣)
- ٦- جلال الدين السيوطي ٩١١هـ: من أهم من تحدث عن المبهمات بأنواعها، وقد تطرق لعلم المبهمات في كتبه التالية:
- كتاب الإتيقان في علوم القرآن، وذكر علم المبهمات في النوع السابعين، وهو كتاب مطبوع^(٤)

(١) ينظر: غرر التبيان في من لم يُسمَّ في القرآن، بدرالدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة، تحقيق: د.عبدالجواد خلف، دار قتيبة: دمشق، ط١، عام ١٤١٠هـ.

(٢) ينظر: تفسير مبهمات القرآن، الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، محمد بن علي البلنسي، تحقيق: حنيف حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط١، عام ١٤١١هـ.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه: القاهرة، ط١، عام ١٣٧٦هـ.

(٤) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، د.ط عام ١٣٩٤هـ.

- كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن وذكر علم المبهمات في الوجه الثالث والثلاثين من وجوه إعجاز القرآن، وهو كتاب مطبوع.^(١)

- كتاب مفحمت الأقران في مبهمات القرآن، وقد خصص هذا الكتاب للمبهمات في القرآن الكريم.^(٢)

وكان اهتمام مؤلفي هذه الكتب في بيان موضع المبهمات في القرآن الكريم، وعزو الأقوال لأصحابها، والمراد منها، وبيان معناها، فاهتموا بالدراسة التفسيرية للمبهمات، ولم يتطرقوا للدراسة البيانية والبلاغية.

ثالثاً: أنواع المبهمات في القرآن الكريم:

ذكر السهيلي وابن جماعة في تعريفهما أنواعاً من المبهمات المذكورة في القرآن الكريم، وبعد البحث في المبهمات القرآنية يمكن أن نجمل أهم أنواع المبهمات في الآتي:

- ١- مبهمات الأعلام إنسان، حيوان، جماد، ... ٢- مبهمات الأزمنة.
- ٣- مبهمات الأماكن.
- ٤- مبهمات الأعداد.

رابعاً: أسباب الإبهام في القرآن الكريم:

عدّد جلال الدين السيوطي الأسباب التي من أجلها جاءت المبهمات في السياق القرآني، وقد نقل السيوطي أسباب الإبهام عن الزركشي، فقد تحدث

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١/٤٠٨هـ.

(٢) ينظر: مفحمت الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن: دمشق/ بيروت، ط ١، عام ١٤٠٣هـ.

الزركشي عن أسباب الإبهام في كتابه: البرهان في علوم القرآن.

وهذه الأسباب هي:

١- أن يأتي اللفظ مبهماً في موضع؛ للاستغناء ببيانه في موضع آخر، وهو من تفسير القرآن بالقرآن.

٢- أن يأتي اللفظ مبهماً لكونه معروفاً ومشهوراً، وعدم وجود حاجة لتوضيحه.

٣- أن يأتي اللفظ مبهماً للستر عليه.

٤- أن يأتي اللفظ مبهماً لعدم الفائدة في تعيينه.

٥- أن يأتي اللفظ مبهماً للتنبية على أن الحكم عام وغير خاص بمن ورد فيه الإبهام.

٦- أن يأتي اللفظ مبهماً لقصد التعظيم، وذلك بذكر الوصف الكامل له دون اسمه.

٧- أن يأتي اللفظ مبهماً لقصد التحقير، وذلك بذكر الوصف الناقص له دون اسمه. (١)

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١/١٥٦-١٦٠

المبهمات المكانية في النظم القرآني:

هي نوع من أنواع المبهمات المذكورة في القرآن الكريم، وهي أن يُذكر مكان في آية من آيات القرآن الكريم، من دون تحديد لمكانه، أو تعيين لموقعه، لسبب بياني، وسر بلاغي، وقد أحصيت ما يقرب من ستين موضعاً لأماكن لم تُسمَّ في القرآن الكريم، موزعة على سور القرآن الكريم، وعلى موضوعات مختلفة، كان أغلبها في القصص القرآني، خصوصاً قصص الأنبياء -عليهم السلام، وقصص الأمم السابقة.

٢- القصة القرآنية، وأهم أغراضها.

القصة في اللغة:

جاء في الصحاح "قص أثره، أي تتبعه، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، والقصة: الأمر والحديث، وقد اقتصت الحديث: رويته على وجهه، وقد قص عليه الخبر قصصاً، والاسم أيضاً القصص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب." (١) ويأتي القص بمعنى البيان، قال تعالى: ﴿تُحْنُ نَفْسٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أي نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة من فصها، ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء. (٢) وقد وردت آيات في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي، قال تعالى على لسان أم موسى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِيهِ﴾ (٣) أي تتبعي خبره وأثره، وقال تعالى: ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا

(١) الصحاح مادة قصص

(٢) لسان العرب، ابن منظور مادة قصص

(٣) سورة القصص ١١

فَصَصَا ﴿١﴾ أي رجعا يتتبعان الأثر.

فمعنى القص في اللغة يدور حول المتابعة، وتتبع الخبر والأثر، والبيان، وواحدتها قصة، والمصدر: فَصَصَ وقَصَصَ، والقرآن الكريم استعمل لفظة القصص بالفتح. والفرق بينهما: القصص: جمع قصة، تقول: فلان يكتب القصص، والقَصَص هي الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها.

القصة في القرآن الكريم:

ذكر الرازي ٦٠٦ هـ تعريف القصص عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^(٢) فقال: "والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة."^(٣)

أنواع القصص الواردة في القرآن الكريم:

- ١- قصص الأنبياء -عليهم السلام-، مثل: قصص نوح وهود ويوسف وموسى -عليهم السلام-.
- ٢- القصص التي تتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصص الخضر، ولقمان، وذو القرنين.
- ٣- قصص وحوادث وقعت في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.^(٤)
- ٤- أخبار الأمم السابقة، التي تذكر شيئاً من أحوالهم قبل إرسال الرسل لهم، أو بعد موت رسلهم، كأخبار بني إسرائيل بعد موسى -عليه السلام-.

(١) سورة الكهف ٦٤

(٢) سورة آل عمران ٦٢

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٧٤/٤

(٤) المرجع السابق ٣٠١

أغراض القصة القرآنية:

تأتي القصة في القرآن الكريم لأغراض متعددة، وذلك حسب الهدف والسياق الذي وردت فيه، ومن هذه الأغراض:

- ١- إثبات الوحي والرسالة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيبِهِ﴾^(١)
- ٢- إيضاح أسس الدعوة إلى التوحيد، وبيان أصول الشرائع قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَيَّ آثَارَهُمَا فَصَصَّا﴾^(٢)

٣- الترغيب والترهيب، فالهدف من ذكر بعض القصص هو الترغيب بشيء مهم، أو الترهب من شيء معين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣)

٤- الدعوة إلى التفكير وإعمال العقل، فالهدف من بعض القصص تفكير الناس، وفتح عقولهم، فإذا فعلوا ذلك اتعضوا، قال تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤)

٥- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، وتثبيتته، فإن الله أراد من قص بعض القصص تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وقلوب من معه، وتثبيتهم على الحق، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ

(١) سورة القصص ١١

(٢) سورة الكهف ٦٤

(٣) سورة الروم (٩)

(٤) سورة الأعراف ١٧٦

فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

٦- العظة والعبرة، فإيراد القصص يأتي للاعتبار بما جرى للسابقين، والاستفادة من ذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)

٧- الإخبار عن الأمم السابقة، وتصديق الأنبياء السابقين، وإحياء ذكراهم، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣)

(١) سورة هود ١٢٠

(٢) سورة يوسف ١١١

(٣) سورة يوسف ٣

المبحث الأول: المبهمات المكانية في قصص الأنبياء -عليهم السلام-

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١)

وردت هذه الآية في سورة البقرة، في معرض ذكر شيء من قصة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل، وتعداد النعم التي أنعم الله بها عليهم، ومنها ما ورد في هذه الآية من فرق البحر، وجعله طرقاتاً يابسة لهم، وإنجائهم من الغرق، ومن عدوهم، وإغراق فرعون وجنوده في البحر وهم يشاهدونهم. هذه الآية تحت بني إسرائيل على تذكر نعمة عظيمة، فبدئت الآية باسم الزمان إذ، وهو في موضع نصب لفعل، والتقدير: واذكروا وقت فرقنا بكم البحر، "وأصل الفرق: الفصل، ومنه فرق الشعر، ومنه الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، أي يفصل." (٢)، والفرق يقارب الفلق، والفارق بينهما أن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال، والفرق: القطعة المنفصلة، ومنه: الفرقة للجماعة المتفردة من الناس، وقيل: فرق الصبح، وفلق الصبح (٣).

والباء في {بِكُمْ} للملابسة، أي كان فرق البحر ملابساً لكم، والمراد من الملابس: أنه ينشق وهم يدخلونه، وأجاز الزمخشري أن تكون الباء للسببية، أي

(١) سورة البقرة ٥٠

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٨٧/١

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ٦٣٢/١

بسببكم، وبسبب إنجائكم. (١)

وأصل البحر: "كل مكان واسع جامع للماء الكثير" (٢)، والتعريف في {الْبَحْرُ} للعهد، وهو البحر الذي عهدوه، وهو بحر القلزم.

والغرق: هو "الرسوب في الماء وفي البلاء، وغرق فلان يغرق غرقاً، وأغرقه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرْقُ﴾ (٣)، و"فلان غرق في نعمة فلان تشبيهاً بذلك." (٤)

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنُكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ حذف يدل عليه المعنى، والتقدير: وإذا فرقنا بكم البحر، وتبعكم فرعون وجنوده فيه، فأنجيناكم من الغرق، أو من إدراك فرعون وآله لكم، وكفى سبحانه وتعالى بآل فرعون عن فرعون وآله، لأنه علم دخوله فيهم، فهو من ضمنهم، ولهذا اقتصر على ذكر الآل دون ذكر فرعون؛ لأن آل فرعون إذا عذبوا بالإغراق، كان فرعون أولى بذلك. (٥)

وقدم الإنجاء على الإغراق، وإن كان دفع المؤلم - وهو إغراق آل فرعون - أكد؛ مراعاة للترتيب الوجودي؛ لأن إنجاء قوم موسى متقدم على إغراق آل فرعون. (٦)

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري ١٣٨/١

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن ١٠٩/١

(٣) سورة يونس ٩٠

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٦٣٢/١

(٥) ينظر: النكت والعيون، الرماني ١١٩/١؛ ينظر: روح المعاني، الألوسي ٢٥٦/١

(٦) ينظر: التقييد الكبير، البسيلى ٢٦٤/١

وفي الآية طباق إيجاب بين قوله: {فَأَنْجَيْنَاكُمْ} و {وَأَغْرَقْنَا}، فذكر معنيين متضادين في سياق واحد، وظهرت بلاغة الطباق في تنبيه الذهن، وتثبيت المعنى، عن طريق الجمع بين معنيين متضادين، فالإنجاء والإغراق كانا في وقت واحد، في مكان واحد، لكن الله خص بالإنجاء موسى ومن معه، وخص بالإغراق فرعون وجنوده، فحري ببني إسرائيل أن يشكروا هذه النعمة.

وجملة {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} في موضع الحال، والمعنى: تنظرون بأبصاركم إلى آل فرعون وهم يغرقون، وقيل: إنهم أخرجوا لهم حتى رأوهم، وقيل: المعنى: وأنتم تنظرون ببصائرکم للاعتبار.^(١)

وشاهد الدراسة في هذه الآية لفظة البحر، فالبحر لم يُسمَّ في هذه الآية، ولم يذكر مكانه، وقصة موسى -عليه السلام- مع فرعون حدثت في مصر، ومصر تحيط بها الأنهار والأبحر من جهات متعددة، ففي أي بحر كانت حادثة الفرق؟ وفي أي بحر أغرق فرعون وجنده؟

اختلف المفسرون والعلماء في اسم هذا المكان، وفي تسمية هذا البحر، فقيل: هو بحر القلزم، المسمى اليوم بالبحر الأحمر، وكان بين طرفيه أربعة فراسخ^(٢)، وقيل: هو النيل^(٣)، وقيل: هو بحر من وراء مصر يقال له: إساف.^(٤)

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٩٢/١

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١٤١/١؛ ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٩٠/١؛ ينظر:

لباب التأويل، الخازن ٤٥/١؛ ينظر: روح المعاني ٢٥٦/١؛ ينظر: غرر التبيان ٢٠٢

(٣) ينظر: روح المعاني ٢٥٦/١

(٤) ينظر: لباب التأويل ٤٥/١

ولعل سبب الإبهام في هذه الآية عدم وجود فائدة في تعيينه، ولا يتعلق بتعيينه غرض أو فائدة، والسر البلاغي في عدم تسمية البحر وذكر مكانه في هذه الآية: أن الغرض من الآية التأكيد على بني إسرائيل أن نعم الله عليهم كثيرة، وتذكيرهم بالنعمة الواردة في هذه الآية، وتقريرهم عليها، فهلاك عدوهم ونجاتهم من أكبر النعم التي حصلت لهم، فانفلاق البحر لهم معجزة ربانية تستحق الشكر، فليس في ذكر اسم البحر أو مكانه كبير فائدة، فهلاك فرعون نعمة كبرى طغت على أي شيء آخر.

٢- قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (١)

في هذه الآية يخاطب موسى -عليه السلام- قومه بقوله: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي وعدكم الله أن تدخلوها، وتقاتلوا من فيها، ولا ترجعوا عن قتال الجبارين الذين فيها، فتخسروا خيري الدنيا والآخرة. (٢)

وبدأت هذه الآية بصيغة النداء، حيث نسب موسى -عليه السلام- القوم إليه، فقال: {يَقَوْمِ}، وتكرر النداء بنفس الصيغة في هذه الآية والتي قبلها؛ لزيادة استحضر أذهانهم، واهتماماً بشأنهم، ومبالغة في حثهم على الامتثال بالأوامر، (٣) والأمر بالدخول في قوله: {ادْخُلُوا} أمر بالسعي في أسبابه، والتهيؤ له، ومعنى قوله: {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} أي قضى وقدر، وليس ثمة

(١) سورة المائدة ٢١

(٢) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من اساتذة التفسير ١١١

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٣/٣؛

كتابة، ولكنه تعبير مجازي شائع في اللغة، لأن الشيء إذا أكده الملتزم به كتبه، فأطلقت الكتابة على ما لا سبيل لإبطاله، وذلك أن الله وعد إبراهيم أن يورثها ذريته، ووعد الله لا يخلف.

وذكر الرازي فائدة لقوله: { كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ }، يقول: " في قوله: { كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } فائدة عظيمة، وهي أن القوم وإن كانوا جبارين إلا أن الله تعالى لما وعد هؤلاء الضعفاء بأن تلك الأرض لهم، فإن كانوا مؤمنين مقرين بصدق موسى -عليه السلام- علموا قطعاً أن الله ينصرهم عليهم ويسلطهم عليهم، فلا بد وأن يقدموا على قتالهم من غير جبن ولا خوف ولا هلع، فهذه هي الفائدة من هذه الكلمة." (١)

وفي معنى { الْمُقَدَّسَةَ } قولان: الأول: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج، وسمي بيت المقدس؛ لأنه يتطهر فيه من الذنوب، وقيل: سماها مقدسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين، والثاني: أن المقدسة: المباركة، وهو قول مجاهد. (٢)

ومعنى قوله: { وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ } أي لا تتراجعوا في دينكم، بمخالفتكم أمر ربكم، ولا تتركوا ما أمركم به، والارتداد إما أن يكون حقيقياً، وهو الرجوع إلى المكان الذي خرجوا منه، فيصيرون إلى الذل بعد العز، وإما أن يكون الارتداد مجازياً، فيكون معناه: يخسرون خير الدنيا وثواب الآخرة. (٣)

(١) مفاتيح الغيب ٣٣٣/١١

(٢) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٥٣٢/١

(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان ٢١٨/٤

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو: الأرض المقدسة، فقيل هي: بيت المقدس وما حولها^(١)، وقيل: هي الطور وما حوله، وقال قتادة: الشام، وقال عكرمة عن ابن عباس: أريحا، وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، أخرج ذلك عن ابن جرير^(٢)، وقال الطبري: " غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي بين الفرات وعريش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك." ^(٣)

وفائدة عدم ذكر مكان الأرض المقدسة، لكون ذلك معلوماً ومشتهراً، فالأرض المقدسة هي المطهرة والمباركة، وهي البلاد التي فيها بيت المقدس، والغرض في هذه الآية هو التأكيد على أن وعد الله حق، فالأمر بالدخول للأرض المقدسة أمر بالسعي في فعل الأسباب، فالذين يسكنون الأرض المقدسة وإن كانوا جبارين إلا أن الله تعالى وعد بني إسرائيل بأن تلك الأرض لهم، فإن كانوا مؤمنين بذلك، مصدقين به، فإنهم يعلمون علماً يقينياً أن الله سينصرهم على القوم الجبارين، فلا بد حينئذ أن يقدموا على قتالهم، وأن يواجهوهم من غير جبن ولا خوف، فإن أطاعوا أمر الله، ودخلوا الأرض المقدسة، فإنهم لا محالة سيأخذونها، فهذا وعد الله لهم، وإن لم يطيعوا أمره، وشككوا في وعده، فالنتيجة أنهم سيخسرون خيري الدنيا والآخرة، وسينقلبون خاسرين ذليلين، وقد بينت هذه الآية حال بني إسرائيل مع أوامر الله، وأن الله

(١) ينظر: تفسير مبهمات القرآن، البلسني ٣٨٤/١

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٢٥/٦

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ١٦٨/١٠

بمتحنهم ويختبرهم في هذه الدنيا، ويتحقق من صدق إيمانهم، وتوكلهم عليه، فمن كان مؤمناً به، مصداقاً بوعده، فإنه سيتوكل عليه، وسيطيع أمره بغض النظر عن الزمان والمكان، فلا فرق بين أرض وأخرى، فالأهم عنده طاعة أوامر الله، واليقين الصادق بوعده.

٣- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١)
 هذه الآية تنقل مشهداً من قصة نوح -عليه السلام- مع قومه، وهو مشهد بدء ركوب السفينة، وبداية غرق الأرض، فلما جاء أمر الله بإهلاك قوم نوح، فار التنور معلناً وقت بداية الهلاك، فأمر الله نوحاً -عليه السلام- أن يحمل معه في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى، وأن يحمل فيها أهله، إلا من سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله، وأن يحمل فيها من آمن من قومه، وما آمن معه إلا قليل.^(٢)

بدئت الآية بـ {حَتَّىٰ} وهي التي يبتدأ بعدها الكلام، دخلت على الجملة من الشرط والجزاء، فالشرط {إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا}، والجواب: {احْمِلْ فِيهَا}، وقد وقعت غاية لقوله: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ}^(٣)، فالمعنى: وكان يصنعها إلى زمن مجيء الأمر، وحلول وقت الموعد.^(٤)

(١) سورة هود ٤٠

(٢) ينظر: التفسير الميسر ٢٢٦

(٣) سورة هود ٣٨

(٤) ينظر: الكشاف ٣٩٤/٢

وأضيف الأمر إلى الله تعالى في قوله: {أَمْرُنَا} للتحويل، وللدلالة على أنه فوق ما يعرفون، ولفظة {فَارَ} تدل على أن الماء قد وصل إلى درجة الغليان، فالفوران: غليان القدر، وأطلق على نبع الماء بشدة، تشبيهاً بفوران الماء في القدر المغلي.

ولفظ التنور: "فارسي معرب، لا تعرف له العرب اسماً غير هذا، فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ، فخطبوا بما يعرفون، وقيل: إن لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي، وقيل: إن لفظ التنور أصله أعجمي، فتكلمت به العرب فصار عربياً مثل الديباج ونحوه." (١)

واختلف المفسرون في المقصود بالتنور في الآية، فقيل: إنه التنور الحقيقي الذي يجبز فيه، إجراءً على ظاهر الآية، فلا يعدل عنه إلا بدليل، وقيل: إنه كان تنور آدم -عليه السلام-، خلص إلى نوح فكان يوقد فيه، وقيل: إن المراد بفوران التنور: أنك إذا رأيت الماء يشتد نبوعه، والأمر يقوى، فانج بنفسك وبمن معك، وقيل: إنه كان تنوراً عيّن الله تعالى لنوح - عليه السلام -، وعرفه أنك إذا رأيت الماء يثور فاعلم أن الأمر قد وقع. (٢)

وجاء لفظ التنور معرّفاً بأل، فيحتمل أن تكون أل فيه للعهد لتنور مخصوص، ويحتمل أن تكون للجنس، والعهد إنما يكون لمعهد سابق معين

(١) لباب التأويل ٤٨٤/٢

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٤٧/١٧؛ ينظر: البحر المحيط ١٥١/٦؛ ينظر: المحرر الوجيز

١٧٠/٣؛ ينظر: نظم الدرر، البقاعي ٢٨٥/٩

معلوم عند السامع^(١)، فيكون المقصود بالعهد أحد الأقوال التي ذكرها العلماء، وجاءت موافقة لظاهر الآية، مثل: أن ذلك التنور كان لآدم -عليه السلام-، وخلص بعد ذلك لنوح -عليه السلام-، أو كان تنوراً معيناً معروفاً عند نوح -عليه السلام-، وأوحي إليه أنك إذا رأيت الماء يفور فاعلم أن وقت الإغراق بدأ.

والفعل {أَحْمَلُ} جاء بصيغة الأمر، الدال على الوجوب، فإذا ظهرت العلامة وجب على نوح -عليه السلام- أن يحمل معه من كل زوجين اثنين فقط، وأهله، ومن آمن معه.

ولفظة {كُلُّ} تفيد التعميم، أي: احمل في السفينة من كل الكائنات زوجين اثنين، ذكر وأنثى، حتى لا ينقطع النسل.

وقرأ حفص {مِنْ كُلِّ} بالتثنية، وهو تنوين عوض عن مضاف إليه، أي من كل المخلوقات احمل زوجين اثنين، فكلمة {زَوْجَيْنِ} مفعول للفعل {أَحْمَلُ}، وكلمة {أَتْنَيْنِ} صفة لزوجين أي لا تزد على اثنين.

وقدم ذكر الحيوانات على الإنسان في الآية، مع أن الإنسان أشرف من جميع الحيوانات، والسر في ذلك: أن الإنسان عاقل، ويستطيع دفع أسباب الهلاك عن نفسه، وليس بحاجة لمن يأخذ بيده، ويرغبه في النجاة، بخلاف سائر الحيوانات، فإنها لا تعقل، ولا تدفع عن نفسها، فهي بحاجة لغيرها، فقدمها للأهمية^(٢).

(١) ينظر: البحر المحيط ١٥١/٦

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٤٨/١٧

ومعنى {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} أي: من مضى حكم الله عليه بالغرق بفعل كفره، فالتعريف في {الْقَوْلُ} للعهد، يعني إلا من عاهدت وعرفت من أهلك أنه كافر فلا تأخذه معك، وعدي {سَبَقَ} بالحرف على؛ لتضمنين سبق معنى: حكم، وجملة {وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} اعتراض؛ لتكميل الفائدة من القصة في قلة الصالحين، وقيل: كان جميع المؤمنين به من أهله وغيرهم نيفاً وسبعين شخصاً، وكان معظم حمولة السفينة من الحيوان.

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو مكان فوران التنور، فقد اختلف العلماء في موضعه، فقيل: إنه كان بناحية الكوفة، وقيل: إنه في مسجد الكوفة، وقيل: بالشام بموضع يقال له: عين وردان، وقيل: فار التنور بالهند، وقيل: من عين بالجزيرة تسمى عين الوردة.^(١)

والسر في إيهام مكان فوران التنور؛ أنه لا فائدة مهمة في تعيينه، فكل الأقوال والتفسيرات في تحديد مكان فوران الماء لا تفيد ولا تزيد في الخبر شيئاً؛ لأن الأهم أن فوران التنور كان علامة بين نوح -عليه السلام- وربّه، فلما رأى نوح تلك العلامة امتثل لأمر ربّه، وبدأ يحمل في السفينة من أمر بحملهم، فالحق تبارك وتعالى أغرق الأرض ومن عليها، واستبقى من في السفينة، لتدوم الحياة، ولينشأ جيل جديد يعبد الله، وفائدة هذا الأمر هو التهويل والترهيب، فكل من يعصي الله، ويكذب رسله، سيكون الهلاك مصيره، والعذاب رفيقه، ولهذا أضيف الأمر إلى الله تعالى تهيؤاً له، ودلالة على أن الماء بلغ حداً فوق ما

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٤٦/١٧؛ ينظر: مفحّمات الأقران، السيوطي ٥٥؛ ينظر: تفسير

يتصورون، وفوق ما يطبقون.

٤- قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبِ الْجُبِّ

يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(١)

هذه الآية جاءت في أثناء قصة يوسف -عليه السلام- مع أبيه وإخوته، وهي تبين حال يوسف -عليه السلام- مع إخوته حين تشاوروا في أمره؛ لإبعاده عن أبيهم، فأرادوا قتله، فقال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف، وإنما ألقوه في البئر، لعل بعض المارة المسافرين يأخذونه معهم، فهذا أخف من قتله إن كنتم عازمين على فعل ما تريدون من تغييب يوسف عن أبيكم.

في قوله: {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ} عدول عن اسم القائل العلم، إلى التنكير والوصف؛ لعدم الجدوى في معرفة اسمه، لكن المهم أنه من إخوة يوسف، وكذلك تجنباً لما في اسمه العلم من الثقل اللفظي.

وقوله: {لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ} جملة إنشائية طلبية، جاءت بصيغة النهي، وأفادت إبداء الرأي والمشورة، فالقائل نهي إخوته عن قتل يوسف، واقترح عليهم شيئاً آخر، وفيه إيجاء إلى بشاعة هذا الفعل، وإشارة إلى طلب تخفيف مصير يوسف قدر المستطاع.

وفي إظهار اسم يوسف -عليه السلام- في مقام الإضمار في الآية فائدة وغرض بلاغي، وهو استجلاب شفقة الإخوة على أخيهم، أو استعظماً لقتل أخيهم.^(٢)

(١) سورة يوسف ١٠

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٦٥/٤

والأمر في {وَأَلْفُوهُ} للنصح والإرشاد، فصيغة الأمر خرجت عن دلالتها الأصلية وهي الوجوب، إلى معنى وغرض آخر وهو النصح والإرشاد، فهو يطلب منهم عدم قتل يوسف، وأرشدتهم إلى طريقة أخرى لإبعاده، وهي إلقاءه في البئر.

ومعنى الغيبة: "كل ما غيب شيئاً وستره، فغيابة الجب غوره، وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفل."^(١)

والجب في اللغة: "البئر التي لم تطو، وجمعها جباب وجبية."^(٢) "الجب: أي: بئر لم تطو، وتسميته بذلك إما لكونه محفوراً في جُوب، أي: في أرض غليظة، وإما لأنه قد جبّ، والجبُّ: قطع الشيء من أصله."^(٣)

والتعريف بالإضافة في {عَيَّبَتِ الْجُبَّ} للدلالة على أن القائل أشار بأن يُلقى يوسف في مكان مظلم من الجب بحيث لا يلحقه نظر الناظرين، إذ كان من المحتمل أن يلقى في موضع من الجب يستطيع الناظر أن يلحظه بسرعة^(٤)، "ويقال إنما حملهم على إلقاءه مرادهم أن يخلو لهم وجه أبيهم، فلما أرادوا حصول مرادهم في تغييبه لم يبالغوا في تعذيبه."^(٥)

والتعريف في {الْجُبِّ} للعهد الذهني، فتقتضي معهوداً سابقاً، واختلف

(١) مفاتيح الغيب ٤٢٥/١٨

(٢) الصحاح مادة جب

(٣) المفردات في غريب القرآن مادة جب

(٤) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي ٣٢/١٢

(٥) لطائف الإشارات، القشيري ١٧١/٢

في تعيينه: فقيل: هو بئر بيت المقدس، وقيل بأرض الأردن، وقيل: على بعد ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وخصوا هذا الجب بعينه؛ للعلة التي ذكرت في الآية، وهي: يلتقطه بعض السيارة، لأن تلك البئر كانت معروفة، وكان المارة يردون عليها كثيراً، وكان يُعلم أنه إذا طرح فيها يكون إلى السلامة أقرب.^(١)

واستعملت صيغة المضارع في {يَلْتَقِطُهُ} للدلالة على التجدد والاستمرار، فالبئر مطروقة باستمرار، ولا بد أن يأتي أحد ويلحظ وجود شخص في البئر فينقذه، ويأخذه معه.

وقوله: {يَلْتَقِطُهُ} جواب لفعل الأمر {أَلْقُوهُ}، ففيه إشارة إلى أن رأي القائل بإلقاء يوسف - عليه السلام - في البئر أمثل وأفضل مما أشار به الآخرون من قتله، والالتقاط: تناول شيء من الأرض أو الطريق، واستعير لأخذ شيء مضاع، والسيارة: الجماعة الموصوفة بحالة السير وكثرت، وتأنيثه؛ لتأويله بالجماعة التي تسير، مثل الفلاحة والبحارة، والتعريف في {الْسَيَّارَةِ} للعهد الذهني؛ لعلمهم أن الطريق لا تخلو من قوافل بين الشام ومصر للتجارة والميرة.

وقوله: {إِنْ كُنْتُمْ فُعَلِينَ} فيه إشارة وتعريض إلى أن الأولى والأفضل ألا تفعلوا شيئاً من ذلك، لا القتل ولا الإلقاء، أما إن كان ولا بد فاقصروا على إلقاء يوسف بالبئر، وهي شرط حذف جوابه لدلالة {وَأَلْقُوهُ}، أي إن كنتم فاعلين الإبعاد فألقوه في الجب ولا تقتلوه، ولذلك جاء في شرطه بحرف الشرط إن إيماء إلى أنه لا ينبغي الجزم به.^(٢)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٤٢٥/١٨

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٤٢٥/١٨

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو مكان الجب الذي أُلقي فيه يوسف -عليه السلام-، قال قتادة: بئر بيت المقدس، وعنه: أنها بئر غير معينة، وقال ابن زيد: بئر بحيرة طبريا، وقال وهب: هو بئر بأرض الأردن، وقال مقاتل: هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.^(١)

وسبب إبهام مكان البئر؛ عدم وجود سر في تعيينه، ولا يتعلق بمكانه غرض أو فائدة، فالأهم أنهم ألقوه في بئر مظلم، أي كان موقعه، والسر البلاغي في هذه الآية: أن القصد لم يكن يتعلق ببيان مكان الجب، ولا بمن يكون القائل وصاحب فكرة إلقاء يوسف فيه، بل الغرض كان بيان الشر الذي يكمن في بعض نفوس البشر، ولو كانوا إخوة، وسواء كان الجب في فلسطين أو في أي مكان آخر، فإن ذلك لا يغير شيئاً من الحقيقة، لكن هناك من يستطيع تخفيف بعض الشر، كما حصل في الآية، فأحد الإخوة اقترح استبدال القتل بالإلقاء في غيابة البئر، وبذلك يحصل لهم ما يريدون من إبعاد يوسف عن أبيهم، ومن الأسرار في الآية: أنه يجب قول النصح من أي قائل كان، وأن الإنسان لا يحقر نفسه في بذل النصح على أي حال.

٥- قال تعالى: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ^(٢)

هذه الآية تمثل مشهداً من مشاهد قصة يوسف -عليه السلام-،

^(١) ينظر: النكت والعيون ١٣/١٢؛ ينظر: مفاتيح الغيب ٤٢٥/١٨؛ ينظر: التكميل والإتمام،

ابن عسکر ٢٠٣

^(٢) سورة يوسف ٨٢

فيعقوب -عليه السلام- أرسل ابنه بنيامين مع إخوته للكيل، فحصلت حادثة أخذ صواع الملك، وهي حيلة دبرها يوسف -عليه السلام- ليأخذ أخاه بنيامين عنده، وعندها حار الإخوة كيف يخبرون أباهم، بعد أن أخذ عليهم المواثيق بالمحافظة على أخيهم، فقرروا إخباره بالحقيقة، فرجعوا وأخبروه بما حدث، وطلبوا منه أن يتوثق من كلامهم بسؤال أهل القرية، ومن كان معهم في القافلة التي كانوا فيها، فهم صادقون فيما أخبروه به. (١)

قوله: { وَسَلِّ الْقَرْيَةَ } مجاز مرسل علاقته المحلية، فأطلق المحل وأريد الحال، فالمراد وأسأل أهل القرية، وأهل العير، والأمر في قوله: { وَسَلِّ } للإرشاد، فصيغة الأمر خرجت عن دلالتها الأصلية ومقتضاها الظاهر وهو الوجوب، إلى معنى وغرض آخر وهو الإرشاد، فأرشدوا أباهم إلى سؤال أهل القرية ليتأكد من صدقهم.

ومعنى { الْعَيْرِ } إما القافلة، وسميت عيراً على التشبيه، أو المقصود بالعير الحمير، قاله مجاهد، والمقصود أهلها، وقيل: إنهم أرادوا من أيهم يعقوب أن يسأل نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لا ينطق، لكنه نبي، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً. (٢)

وجاء قولهم: { وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ } جملة خبرية مؤكدة بـ **إِنَّ** واللام، لأن المخاطب في حالة إنكار، وهو تأكيد في محل القسم. (٣)

(١) ينظر: التفسير الميسر ٢٤٤-٢٤٥

(٢) ينظر: النكت والعيون ٦٨/٣

(٣) ينظر: نظم الدرر ١٠/١٩٤؛ ينظر: إرشاد العقل السليم ٣٠١/٤

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو مكان القرية التي حصلت فيها قصة يوسف -عليه السلام- مع إخوته، والحيلة التي عملها يوسف لأخذ أخيه بنيامين، وأمره للخدم بوضع صواع الملك في رحل أخيه، فأكثر العلماء والمفسرين اتفقوا على أن المراد من هذه القرية هي مصر، وقال قوم: بل المراد منه قرية على باب مصر جرى فيها حديث السرقة والتفتيش^(١)، والقول الثاني تابع للأول، فالمقصود أن الحادثة حصلت في مصر، سواء أكانت داخلها، أم على أبوابها.

وسبب إهمام المكان في الآية؛ لكونه معلوماً، فقد ذكر الحق تبارك وتعالى في آية أخرى أن الذي اشترى يوسف من مصر، فقال تعالى: {قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ} ^(٢) فجعله في بيته، وتحت نظره، ثم لما رأى صدقه وعدله، ولاه على مصر، كما أن لقاءات يوسف مع إخوته كانت في مصر عندما كان والياً عليها. والسر البلاغي في الآية هو التأكيد، ففيها تأكيد من إخوة يوسف على صدقهم، فهم يعلمون أنهم كذبوا على أبيهم من قبل، وفهموا أن أباهم قد علم كذبهم، فأرادوا هنا أن يثبتوا صدقهم، فأكدوا كلامهم بمؤكدات لفظية هي إنَّ واللام، وكأنهم يقولون: والله إنا لصادقون هذه المرة، فالاهتمام في الآية كان منصباً على التأكيد على صدق كلام إخوة يوسف، دون الاهتمام بمكان القرية أو اسمها.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٨/٤٩٥؛ ينظر: التكميل والإتمام ٢٠٣

(٢) سورة يوسف ٢١

٦- قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

هذه الآية كانت خاتمة قصة يوسف، وهي تحكي قدوم أهله إلى مصر، ودخول أبويه عليه، حيث أجلسهما بجانبه، وخروا له سجداً، تحية وإجلالاً، عندها ذكر يوسف أباه برؤياه التي رآها في صغره، وأن هذا هو تفسيرها، فقد جعلها الله حقاً وصدقاً، ثم أخذ يوسف -عليه السلام- يعدد أفضال الله عليه، فقد أخرجته من السجن، وجاء بأهله إلى مصر، فاجتمع شملهم بعد فراق، وبعد أن أفسد الشيطان بينه وبين إخوته، ثم ختم بالقول: إن ربي لطيف لما يشاء ويريد، إنه هو العليم بعباده، الحكيم في أقواله وأفعاله. (٢)

بدأت هذه الآية برفع يوسف أبويه على العرش؛ وهذا فيه دليل على بره بهم، واحترامه لهم، فهو لم يرد التميز عنهم، فمع مكانته الرفيعة إلا أنه لم ينس مكانة أبويه، وهذا سلوك يدل على المحبة والإكرام لوالديه.

والعرش: "العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك، من ذلك العرش، قال الخليل: العرش: سرير الملك، والعريش: بناء من قضبان يرفع ويوثق حتى يظلل، ويقال لسقف

(١) سورة يوسف ١٠٠

(٢) ينظر: التفسير الميسر ٢٤٧

البيت عرش. (١)

والخرز: "الخاء والراء أصل واحد، وهو اضطراب وسقوط مع صوت. فالخرير: صوت الماء، وعين خراة، وقد خرت تخر، ويقال للرجل إذا اضطرب بطنه قد تخرخر، وخر، إذا سقط." (٢) والمراد فيه بالآية على ثلاثة أقوال: الأول: أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له، وكان السجود تحيتهم، والثاني: أنهم سجدوا لله عز وجل، وكان يوسف في جهة القبلة فاستقبلوه بسجود، وكان سجودهم شكراً، ويكون معنى قوله: {وَحَزْرًا} أي سقطوا، والثالث: أن السجود في الآية بمعنى الخضوع والتذلل. (٣)

والمقصود برؤيا يوسف -عليه السلام- هي التي رآها في صغره، وذكرت في بداية السورة، وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤)، وفي الآية دلالة على قصر الزمن بين الرؤية وتحقيقها، وذلك بذكر الجار في قوله: {مِنْ قَبْلُ}. (٥)

وقد اقتصر على ذكر خروجه من السجن، وأعرض عن ذكر إخراجه من البئر في قوله: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} لأن فتنة السجن كانت أشد من البئر، فخصه بالذكر والشكر، وقيل: إنه قال ذلك شكراً لله -عز

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة عرش

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة خر

(٣) ينظر: النكت والعيون ٨٢/٣

(٤) سورة يوسف ٤

(٥) ينظر: نظم الدرر ٢١٧/١٠

وجل - على نقله من البلوى إلى النعماء، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الحب، فصار أخص بالذكر والشكر، إذ صار بخروجه من السجن ملكاً، وبخروجه من الحب عبداً، وقيل: لو ذكر إخراجه من الحب لتجدد فعل إخوته، وعرض بهم، ففيها أدب منه - عليه السلام-^(١).

وزاد الرازي أسباباً أخرى، فقد قال لإخوته: {لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ} ^(٢)، ولو ذكر واقعة البئر لكان ذلك تثريباً لهم، فكان إهماله جارياً مجرى الكرم، وأنه لما أخرج من البئر وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة المرأة، فلما أخرج من السجن وصل إلى أبيه وإخوته، وزالت التهمة، فكان هذا أقرب إلى المنفعة.^(٣)

وورد الفعل متعدياً بالباء في قوله: {أَحْسَنَ بِي}؛ لدلالته على القرب من المحسن، أكثر من التعدية بـ إلى، وعبر بالفعل الماضي في {تَنَزَّغَ} للدلالة على أن الخلاف بين الإخوة قد انتهى وانقضى، وقسم الخلاف والنزاع بينه وبين إخوته في قوله: {بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}، ولم يفضل أحداً من الفريقين على الآخر^(٤)، وهذا أدب وكرم منه - عليه السلام-، وقد أفاد النداء في قوله: {يَأْبَتْ} التودد والتحبب، وفيه دلالة على بر يوسف بأبيه -عليهما السلام-.

(١) ينظر: النكت والعيون ٨٣/٣؛ ينظر: المحرر الوجيز ٢٨٢/٣

(٢) سورة يوسف ٩٢

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٥١٢/١٨

(٤) ينظر: نظم الدرر ٢١٩-٢١٨/١٠

والنزغ: هو فعل شيء للإفساد^(١)، "والنزغ حركة فيها فساد، وقلما تستعمل إلا في فعل الشيطان؛ لأن حركاته مسرعة مفسدة^(٢)، وإطلاق النزغ على وسوسة الشيطان استعارة: فشبّه حدوث وسوسة الشيطاني في النفس، بنزغ الإبرة في الجسم، بجامع التأثير الخفي، فحذف المشبه وهو وسوسة الشيطان، وصرح بالمشبه به وهو النزغ على سبيل الاستعارة التصريحية.

وعند التأمل في لفظة {نَزَغَ} نجد أن لها جرساً قوياً، وصوتاً مرتفعاً، فالنون والزاي والغين حروف مجهورة، ومعنى المجهور "أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت."^(٣) وهي حروف متوسطة بين الشدة والرخاوة، فالنون حرف متوسط، والزاي والغين من الحروف الرخوة، وحرف الزاي من حروف الصفيير، وكل هذه الصفات تضافرت لإحداث هذا الجرس القوي، الذي يناسب وساوس الشيطان المتكررة، ويناسب حالات الإفساد التي حصلت بين يوسف وإخوته، والتي لم تكن ثابتة مستمرة، بل اشتدت لفترة ثم خفت، وهي مثل وخزة الإبرة، تؤلم مدة يسيرة ثم ما يلبث الإنسان أن يعود لطبعه، وهذا ما حصل بين يوسف وإخوته، خلاف في وقت معين، ثم عفو ومسامحة من يوسف، وهنا انتهى الخلاف.

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو المكان الذي جاء منه يعقوب -

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن مادة نزغ

(٢) المحرر الوجيز ٢٩١/٢

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جني ٦٠/١

عليه السلام- مع أهله للقاء ابنه يوسف -عليه السلام-، فقد ذكر يوسف -
عليه السلام- أنهم أتوا من البادية، فأبي بادية كانت؟ وأين تقع؟ قيل إن المقصود
أنهم جاؤوا من فلسطين^(١)، وقال ابن جماعة: هي أرض كنعان^(٢)، ولعل الحكمة
في عدم تسمية المكان الذي جاء منه يعقوب -عليه السلام- وأهله، أنه ليس
في ذكره وتعيينه كبير فائدة، إنما الفائدة في الثقة بنصر الله، والسر البلاغي في
هذه الآية هو التأكيد على تحقيق وعد الله، بَعْدَ المكان أم قرب، فوعد الله
حق، وهذا ما ينبغي أن يكون راسخاً في أذهان المؤمنين، وفيه تسلية للنبي -
صلى الله عليه وسلم- بأن وعد الله له بالنصر والتمكين سيكون حقاً، فلا
يقنط، ولا ييأس، كما أن فيه الحث على شكر الله على نعمه المتعددة، فالمؤمن
صابر عند البلاء، شاكر عند النعماء.

(١) ينظر: مفحّمات الأقران ٦٠

(٢) ينظر: غرر التبيان ٢٨٩/٢

المبحث الثاني: المهيمات المكانية في قصص الأمم السابقة.

قصص الأمم السابقة هي الأخبار التي وردت في القرآن الكريم عن الأمم التي سبقت أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، مثل أخبار قوم ثمود، وقوم عاد، وقوم تبع، وأصحاب الرس، وأخبار بني إسرائيل، وغيرها من الأمم.

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۗ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)

هذه الآية ذكرت خبراً من أخبار بني إسرائيل، ووردت في سياق الحديث عن نعم الله تعالى المتعددة عليهم، ومن هذه النعم تذكير الله تعالى لهم بنعمة عظيمة، حين قال: ادخلوا بيت المقدس، فكلوا من حيث شئتم من طيباتها، وادخلوا الباب خاضعين لله، متذللين إليه، وقولوا: ربنا اغفر لنا سيئاتنا، وضع عنا ذنوبنا، نستجب لكم، ونغفر لكم، وسنزيد المحسنين خيراً. (٢)

يقول البقاعي ٨٨٥هـ عن مناسبة هذه الآية: "لما كان كلٌّ من ظل الغمام، ولزوم طعام واحد غير مألوف لهم، مع كونه نعمة ذنيوية، وكان المألوف أحب إلى النفوس، تلاه بالتذكير بنعمة مألوفة من الاستظلال بالأبنية، والأكل مما يشتهى، مقرونة بنعمة دينية، وقال الحرالي: لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم في حال استحقاق عقوبتهم في تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، وهو مبتدأ أمر تيههم حين أبوا أن يقاتلوا الجبارين، نظم به آخر أمر تيههم بعد وفاة موسى

(١) سورة البقرة ٥٨

(٢) ينظر: التفسير الميسر ٩

وهارون -عليهما السلام- حين دخولهم مع يوشع -عليه السلام-، وما أمروا به من دخول البلد المقدس، متذللين بالسجود الذي هو أخص رتب العبادة وكمال عمل العامل، ودنو من الحق." (١)

والإشارة في قوله: { هَذِهِ الْقَرْيَةُ } دليل على أنهم كانوا قريبين منها، وعانيوها؛ لأن هذه إشارة لحاضر قريب (٢)، وعقب بالفاء في قوله: { فَكُلُوا } مِنْهَا } لأن نعمة الدخول من النعم العديدة التي امتن الله بها على بني إسرائيل، فناسب سياق النعم التعقيب بالفاء في قوله: { فَكُلُوا } (٣).

والفعل { ادْخُلُوا } جاء بصيغة الأمر الدال على الوجوب، يقول الرازي عن هذا الأمر: "فاعلم أنه أمر تكليف، لأنه تعالى أمر بدخول الباب سجداً، وذلك فعل شاق، فكان الأمر به تكليفاً ودخول الباب سجداً مشروط بدخول القرية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فثبت أن الأمر بدخول القرية أمر تكليف لا أمر بإباحة." (٤)

وورد الفعل { ادْخُلُوا } مرتين في هذه الآية، يقول ابن عرفة: "وأعيد لفظ { ادْخُلُوا } لأجل وصفهم سجداً، فليس بتكرار، والمراد بالسجود الركوع؛ لتعذر

(١) نظم الدرر ٣٩١/١

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٥٧/١

(٣) نظم الدرر ٣٩٢/١

(٤) مفاتيح الغيب ٥٢٢/٣

الدخول حالة السجود، أو يكون حالاً مقدرة، فيكون الدخول سابقاً على السجود." (١)

وأصل السجود: "التطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، ... وسجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنبات، ... وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن، وسجود الشكر، وقد يعبر به عن الصلاة." (٢) فلفظة السجود إذا وردت في السياق فيراد بها السجود المعروف، أما لفظة {سُجِّدَا} فيراد بها متذللين منقادين.

ولفظة {حِطَّة} على وزن فِعْلَةٌ، وهو مصدر كالحِطَّ، وقيل: هو هيئة وحال: كالجِلسة والقَعْدَة، والحِط: الإزالة، حططت عنه الخراج: أزلته عنه (٣)، وقيل لفظة {حِطَّة} لفظة تعبد الله بني إسرائيل بها، قال ابن فارس في المجمل: "{حِطَّة} كلمة أمر بها بنو إسرائيل لو قالوها لحطت أوزارهم." (٤) وقال بذلك الجوهري في الصحاح. (٥)

(١) تفسير الإمام ابن عرفة، ابن عرفة ٢٩٥/١

(٢) المفردات في غريب القرآن ٣٩٦-٣٩٧

(٣) البحر المحيط ٣٥١/١

(٤) مجمل اللغة، ابن فارس ٢١٤/١

(٥) ينظر: الصحاح مادة حطط

وقال الواحدي: "هي فعلة من الحط، وضع الشيء من أعلى إلى أسفل، يقال: حط الحمل عن الدابة، والسييل يحط الحجر عن الجبل." (١)

وذكر الماوردي ٤٥٠هـ أربعة تأويلات للفظ حطة، "أحدها: أنه قول: لا إله إلا الله، وهو قول عكرمة، والثاني: أن {حِطَّة} المغفرة، فكأنه أمر بالاستغفار، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، والثالث: هو قولهم: هذا الأمر حق كما قيل لكم، وهو رواية الضحاك عن ابن عباس، والرابع: معناه: حط عنا خطايانا، وهو قول الحسن، وقتادة، وابن زيد، وهو أشبه بظاهر اللفظ." (٢)

والخطايا جمع خطيئة من الخطأ، وهو الزلل عن الحد عن غير تعمد، بل مع العزم على ألا يعود للخطأ، وعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال: {حَطِيئَتِكُمْ} لأن السياق هنا لتعداد النعم، ففيها إشارة إلى أنهم أصروا عليها، بحيث كادوا أن يجعلوا بإزاء كل نعمة ذنباً. (٣)

وقد وردت آية مشابهة لهذه الآية في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ حَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) والملاحظ وجود اختلافات متعددة بين الآيتين، ففي سورة البقرة جاء الفعل منسوباً إليه سبحانه

(١) التفسير البسيط ٥٥٣/٢

(٢) النكت والعيون ١٢٦/١

(٣) ينظر: نظم الدرر ٣٩٦-٣٩٧

(٤) سورة الأعراف ١٦١

{قُلْنَا} ، وفي سورة الأعراف جاء الفعل بصيغة {قِيلَ} ، وجمعت كلمة خطيئة على خطايا في البقرة، وعلى {خَطِيئَتِكُمْ} في الأعراف، ووردت كلمة {رَغَدًا} في البقرة دون الأعراف، وفي البقرة تقدم قوله: {وَأَدْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّدًا} على {وَقُولُوا حِطَّةً} ، أما في الأعراف فتقدم قوله: {وَقُولُوا حِطَّةً} ، والسر في ذلك: أن آية البقرة جاءت في سياق تعداد وذكر النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، فناسبها هذا النظم، وناسب زيادة كلمة تدل على الإكرام، فقال: {رَغَدًا} ، وناسب جمع خطيئة على وزن الكثرة، أما في الأعراف فجاءت الآية في سياق التوبيخ لبني إسرائيل، فناسب مجيء الفعل على {قِيلَ} ، وناسب حذف رغداً، وناسب جمع خطيئة على خطيئاتكم، وناسب تقدم قوله: {وَقُولُوا حِطَّةً} ، وعطف الفعل {فَكُلُوا} بالفاء في البقرة، وبالواو في الأعراف، لأن الأكل متعلق بدخول القرية، فالدخول سبب للأكل، فناسب الفاء، أما في الأعراف فإن السكن يعنى طول المكث، ولهذا جاء بـ {أَسْكُنُوا} دون {أَدْخُلُوا} ، والأكل لا يختص بوجود السكن، فقد يأكل الإنسان من القرية أو البستان وهو مجتاز، فلا يشترط المكث، فجاء بالواو، وجاء الفعل {سَنَزِيدُ} معطوفاً بالواو في البقرة، وغير معطوف في الأعراف، لدلالة الواو على الجمع بين المغفرة والزيادة. (١)

وشاهد الدراسة في هذه الآية كلمة {الْقَرْيَةِ} فهي مكان لم يُسم ولم يعين، وفي تعيينها أربعة أقوال: "أحدها: وهو اختيار قتادة والربيع وأبي مسلم الأصفهاني أنها بيت المقدس، واستدلوا عليه بقوله تعالى في سورة المائدة: {يُقَوْم

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٩٢-٣٩٣.

أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}، ولا شك أن المراد بالقرية في الآيتين واحد، وثانيها: أنها نفس مصر، وثالثها: وهو قول ابن عباس وأبي زيد أنها أريحاء، وهي قريبة من بيت المقدس، واحتج هؤلاء على أنه لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس؛ لأن الفاء في قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} (١) تقتضي التعقيب، فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى، لكن موسى مات في أرض التيه ولم يدخل بيت المقدس، فثبت أنه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس. (٢)

والأرجح - والله أعلم - أن القرية هي بيت المقدس، والسبب في عدم تعيينها؛ لكون ذلك معلوماً ومشتهراً، بأن الأرض المقدسة هي التي يوجد فيها بيت المقدس.

والغرض البلاغي في هذه الآية هو تذكير بني إسرائيل بنعم الله الكثيرة عليهم، ووجوب شكرها، والعمل على طاعة منعمها، لكنهم تعنتوا وأصروا على الكفر والعصيان، وقابلوها بالجحود والنكران، فكان الهلاك والخسران مصيرهم، وفيها إشارة لكل من خالف أمر الله بأن مصيره إلى الخسران.

٢- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا

(١) سورة البقرة ٥٩

(٢) مفاتيح الغيب ٥٢٢/٣

أَلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَّفُوا لِلَّهِ كَمَ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾

هذه الآية وردت ضمن قصة بني إسرائيل من بعد زمن موسى -عليه السلام-، حين طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكاً، يقاتلون أعداءهم في سبيل الله تحت إمرته، فقال لهم نبيهم: إن الله قد أرسل إليكم طالوت ملكاً إجابة لطلبكم، فما كان منهم إلا اعتراضوا عليه، فأجابهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم وهو الأعلم بأموركم، وإن علامة ملكه أن يأتيكم الصندوق الذي فيه التوراة، وفيه طمانينة من ربكم، وبقية من بعض أشياء تركها آل موسى وآل هارون، وفي ذلك أعظم برهان لكم على اختيار طالوت ملكاً عليكم بأمر الله. فلما خرج طالوت بجنوده للقتال أخبرهم بأن الله ممتحنهم على الصبر بنهر أمامهم يعبرونه، فمن شرب منه فليس منه، ومن لم يذقه فإنه منه، إلا من اغترف غرفة واحدة بيده، فلما وصلوا إلى النهر شربوا من الماء، إلا عدداً قليلاً منهم، وبعضهم اكتفى بغرفة اليد، ولما عبر طالوت النهر هو والقلة المؤمنة معه لملاقاة العدو، ورأوا كثرة عدوهم، قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فأجاب الذين يوقنون بلقاء الله: كم من جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت بإذن الله وأمره جماعة كثيرة كافرة باغية، والله مع الصابرين. ﴿٢﴾

(١) سورة البقرة ٢٤٩

(٢) ينظر: التفسير الميسر ٤٠-٤١

الفعل {فَصَلَ} مأخوذ من الفصل، وهو انقطاع بعض من كل، وأصله: فصل نفسه أو جنده أو نحو ذلك، ولكنه حذف المفعول؛ للعلم به، فصار يستعمل استعمال اللازم.^(١)

"والجنود جمع جند: وكل صنف من الخلق جند على حدة، يقال: الجراد أكثر جنود الله، ومنه: الأرواح جنود مجندة."^(٢)

ولفظة {بَنَهَرَ} في الآية جاءت بفتح الهاء، وهما لغتان: بتسكين الهاء، وتحريكها نَهَرَ ونَهْرٌ^(٣)، والنهر: مجرى الماء الفائض، وجمعه: أنهار^(٤)، وفي قوله: {فَلَيْسَ مِنِّي} حذف، أي: ليس من أهل ديني وطاعتي، ودل مني عليه.^(٥) ومعنى {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ} "أي يذقه، واختير لفظ يطعم على يشرب الذي هو مقتضى المقابلة؛ لأنه أبلغ، إذ نفي الطعم يستلزم نفي الشرب، من غير عكس."^(٦)

{إِلَّا مَنْ أَعْتَرَفَ عُرْفَةً يَبْدِيهِ} قراءة عاصم بالضم عُرفَة، وقال أهل اللغة: العُرْفَة بالضم: الشيء القليل الذي يحصل في الكف، والعُرْفَة بالفتح: الفعل، وهو الاعتراف مرة واحدة، وهذه الجملة استثناء من الجملة الأولى، والجملة الثانية في حكم التأخير، قدمت للعناية، والتقدير: فمن شرب منه فليس مني،

(١) ينظر: نظم الدرر ٤٢٦/٣

(٢) التفسير البسيط ٣٢٩/٤

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٥١٠/٦

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٨٢٥/١ مادة نهر

(٥) التفسير البسيط ٣٣١/٤

(٦) قطف الأزهار، السيوطي ٤٩٣/١

إلا من اغترف غرفة بيده، ومن لم يطعمه فإنه مني^(١)، وقد وقع الابتلاء بالشرب من النهر؛ لتمييز الصادق من الكاذب، من يريد القتال ومن لا يريده، فطالوت كان لا يعلم بمن له نية في القتال معه، ومن ليست له نية، فابتلوا بالنهر^(٢)، ووجه تقييد الغرفة بقوله: {بِيَدِهِ} مع أن الغرف لا يكون إلا باليد؛ "الدفن توهم أن يكون المراد تقدير مقدار الماء المشروب، فيتناولوه بعضهم كرهاً، فرما زاد على المقدار فجعلت الرخصة الأخذ باليد.

{جَاوَزَهُ} اسم فاعل من جاز يجوز، وهي مفاعلة من اثنين في كل موضع، لأن النهر وما أشبهه كأنه يجاوز.^(٣)

والمراد بالظن في قوله: {يَظُنُّونَ} قولان: الأول: أن الظن بمعنى اليقين، والمعنى الذين يستيقنون أنهم ملاقوا الله، والثاني: بمعنى الذين يظنون أنهم ملاقوا الله بالقتل في المعركة.^(٤)

وكم في قوله: {كَمْ مِّن فِئَّةٍ} مفيدة للتكثير، سواء كانت خبرية أو استفهامية، وهي في حيز الرفع بالابتداء، خبرها: غلبت، أي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة.^(٥)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٥١٠/٦؛ كطف الأزهار ٤٩٣/١

(٢) ينظر: التفسير البسيط ٣٣٠/٤

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٣٣٥/١

(٤) ينظر: النكت والعيون ٣١٨/١

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٤٣/١

وفي قوله: {مُلْفُؤاً لِلَّهِ} كناية عن الموت في سبيل الله، والفئة: هي الجماعة من الناس، مشتقة من الفيء وهو الرجوع؛ لأن بعضهم يرجع إلى بعض، ومنه سميت مؤخرة الجيش فئة؛ لأن الجيش يفيء إليها.

وأصل مع في قوله: {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} للمصاحبة، كأنه قال: الله يصحبهم النصر والمعونة، و{الصَّابِرِينَ} هم الذين صبروا على طاعة الله، وعن محارمه. (١)

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو: نحر، وفي تحديده قولان، الأول: هو نحر بين الأردن وفلسطين، وقال به قتادة، والثاني: هو نحر فلسطين، وهو قول ابن عباس، قال القاضي: والتوفيق بين القولين: إن النهر الممتد من بلد قد يضاف إلى أحد البلدين. (٢)

وسبب عدم تسمية النهر، هي أنه لا فائدة من تعيينه، فهو نحر بين فلسطين والأردن؛ لأن بني إسرائيل كانوا يسكنون في تلك المناطق، وهذا معلوم ومعروف، وليس في ذكره فائدة تضاف للفائدة العظيمة في الآية، سواء ذكر مكانه أو لم يذكر، فالغرض من الآية هو التذكير بأن الله مع المؤمنين الصادقين، المستيقنين بنصره، والواقفين عند حدوده، حتى وإن كانوا في أحلك الظروف، وأشد المواقف، فمخافة الله بين أعينهم، وطاعته لا تغيب عنهم، فالله سبحانه وتعالى ابتلى الجنود الذين مع طالوت؛ لمعرفة مدى طاعة بني إسرائيل لأوامره، واجتنبهم لنواهيهم، وصبرهم على ما ابتلاهم به؛ انقياداً وإذعاناً له، وهذا ظهر

(١) ينظر: التفسير البسيط ٣٣٨/٤

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٥٠٩/٦

كله بأمر واحد وهو نهيهم عن الشرب من النهر وهم في أمس الحاجة.

٣- قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لحمًا فَمَا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

في هذه الآية حديث عن خير الذي مر على قرية خاوية على عروشها، فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مئة عام، ثم رد إليه روحه، وقال له: كم لبثت ميتاً؟ قال: بقيت يوماً أو بعض يوم، فأخبره تعالى بأنه بقي ميتاً مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظهما له من التغير هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظماً متفرقة؟ وقال له: ولنجعلك آية وعظة للناس، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد ذلك لحمًا، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما اتضح له ذلك عياناً اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير. (٢)

الجمهور على سكون واو أو في قوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ} وهي هنا للتفصيل، وقيل: للتخيير بين التعجب من شأنهما، ومعنى {خَاوِيَةٌ} أي خالية، يقال: حَوَتِ الدَّارُ تَحْوِي حَوَاءً بالمد، والحوى: الجوع؛ لخلو البطن من الزاد،

(١) سورة البقرة ٢٥٩

(٢) ينظر: التفسير الميسر ٤٣

والعروش: جمع عرش، وهو سقف البيت، وكذلك كل ما هيئ ليستظل به، وقيل: هو البنيان نفسه، فالقرية خاوية من السكان، متهدمة العروش والجدران، و {أئى} تأتي على معنيين، الأول: أن تكون بمعنى متى، فتكون ظرفاً، والثاني: أنها بمعنى كيف، فيكون موضعها حالاً من هذه، وتقدم الحال أنى على هذه؛ لما فيه من الاستفهام، ورجح السمين الحلبي ٧٥٦هـ أنها بمعنى كيف^(١)، ونقل البقاعي ٨٨٥هـ عن الحرالي ٦٣٨هـ سبب الاستفهام بلفظة {أئى} دون غيرها؛ لشمول معناها للمعنى: كيف، وحيث، ومتى، فاستبعد الإحياء في الكيف والمكان والزمان، ومنشأ هذا الاستبعاد إنما يطوق النفس من طلبها لمعرفة تكييف ما لا يصل إليه علمها.^(٢)

في قوله: {بَعَدَ مَوْتَهَا} لم تذكر من، فلم يقل: من بعد موتها؛ إشارة إلى كمال التأخر والانفصال عن أزمنة البعدية لا أولها، والمجاز فيها من أحد وجهين: إما أن يراد بالإحياء العمارة، وبالموت الخراب، أو يكون الإحياء حقيقة، والموت كذلك، والمراد بعد موت أهلها.^(٣)

وذكر الرازي ٦٠٦هـ سؤالاً حول الفائدة في إماتة الله للرجل مئة عام، مع أن الاستدلال بالإحياء يوم أو بعض يوم يفي بالعرض، يقول مجيباً عن ذلك: " لأن الإحياء بعد تراخي المدة أبعد في العقول من الإحياء بعد قرب

(١) ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي ٥٥٥/٢-٥٦٠

(٢) ينظر: نظم الدرر ٥٥/٤

(٣) ينظر: تفسير ابن عرفة ٧٣٥/٢

المدة، وأيضاً فلأن بعد تراخي المدة ما يشاهد منه، ويشاهد هو من غيره أعجب." (١)

وجاء تعيين المدة في هذه الآية {بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ}، ولم تعين في سورة المؤمنون، وذلك في قوله: {قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} (٢)، وإن اشتركوا في الجواب: {يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}؛ لأن المبعوث في سورة البقرة واحد، فمدة إماتة الله إياه محصورة، أما في سورة المؤمنون فالموتى غير محصورين، ومتفاوتو اللبث تحت الأرض، فمنهم من مات في أول الدنيا، ومنهم من مات في آخرها، فلم ينحصروا لنا، مع علم الله -عز وجل- بمدة لبث كل واحد، ولو ذكر مدة مكث كل واحد لاحتيج إلى كتب كثيرة، فلذلك أدرجوا تحت قوله: إلا قليلاً، لأن مدة الحياة الدنيا بالنسبة إلى حياة الآخرة قليلة. (٣)

وذكر البعث دون الإحياء؛ للدلالة على أنه عاد كما كان في السابق حياً عاقلاً مستعداً للنظر والاستدلال، أو للدلالة على سرعة وسهولة هذا الأمر، كأنه تعالى بعثه من النوم؛ للإيدان بأنه أعاده كهيئته يوم موته. (٤)

ومعنى {لَمْ يَتَسَنَّهْ} أي لم يتغير ولم ينتن بعد، أو لم تغيره السنون المتعاقبة، فمرور السنين على الطعام لم يكن سبباً في تغير هيئته وطعمه، وكل ذلك بأمر

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٩/٧

(٢) سورة المؤمنون ١١٤

(٣) ينظر: البحر المحيط ٦٣٤/٢

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠/٧؛ ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٥٣/١

الله وقدرته، فهو مشتق من السنة^(١)، والفعل {يَتَسَنَّة} جاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على التجدد والاستمرار، فمع تجدد السنوات، وتعاقب الأعوام، إلا أن الطعام لم يتغير.

ومعنى النشز: "النون والشين والزاي: أصل صحيح، يدل على ارتفاع وعلو، والنشز: المكان العالي المرتفع، والنشز والنشوز: الارتفاع"^(٢)، و"النشز: المرتفع من الأرض، ونشز فلان: إذا قصد نشزاً، ومنه: نشز فلان عن مقره: نبا، وكل ناب ناشز،... ويعبر عن الإحياء بالنشز والإنشاز، لكونه ارتفاعاً بعد اتضاع"^(٣) فيكون معنى النشز في الآية: انظر إلى العظام كيف نرفعها من الأرض وهي بالية، ونرجعها إلى أماكنها السابقة في الجسد وهي في حالة سليمة صحيحة.

وفي قوله تعالى: {تَمَّ نَكْسُوها حَمًا} استعارة، حيث شبه اللحم بالثياب والكسوة، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: نكسوها على سبيل الاستعارة المكنية^(٤)، فالكسوة في الحقيقة ما وارى الجسد من الثياب، واستعارها هنا لما أنشأ من اللحم الذي غطى به العظم، فأصبح اللحم كأنه ثوب يستر العظام.

(١) ينظر: التفسير البسيط ٣٨٦/٤-٣٨٨

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة نشز

(٣) المفردات في غريب القرآن مادة نشز

(٤) الاستعارة المكنية هي: أن يضم التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت

حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر ينظر: الإيضاح، القزويني: ٢٣٤

وصيغة {تَبَيَّنَ} على وزن تفعل؛ للإشعار بترده في النظر بين الآيتين، حتى استقر عنده الأمر، والتعبير بصيغة المضارع في أعلم قد يكون للدلالة على أنه لم يزل متصفاً بهذا العلم من غير نظر إلى حال ولا استقبال، ويكون ذلك اعتذاراً عن تعجبه واستصعابه للإحياء، فهو إنما قال ذلك استصعاباً للإحياء، لا أنه استبعاداً للقدره عليه.^(١)

وشاهد الدراسة في هذه الآية هي قوله: {قَرِيَّةٌ} فهي مكان لم يُسمَّ، ولم يعين، واختلف المفسرون في تعيين هذه القرية على أقوال: منها: هي بيت المقدس لما خربها بختنصر، وهذا قول وهب وقتادة، والربيع بن أنس، والثاني: أنها التي خرج منها الألو ف حذر الموت، قاله ابن زيد^(٢)، "والقرية التي خرج منها الألو ف حذر الموت يقال لها داوردان قبل واسط."^(٣)، وقيل: هي دير سابرآباد - موضع كان بفارس-، وقيل: سلما باد - محلة أو قرية من نواحي جرجان-، وقيل: هي دير هرقل - بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة، دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم-، وقيل: قرية العنب، وهي على فرسخين من بيت المقدس.^(٤)

وسبب عدم تسميتها وتعيينها أنه لا فائدة من ذلك، فالغرض من الآية التأكيد على أمر ضروري، والتنبيه على حقيقة ثابتة، وهي أن البعث والنشور

(١) ينظر: نظم الدرر ٥٩/٤

(٢) ينظر: النكت والعيون ٣٣١/١

(٣) الكشف ٢٩٠/١

(٤) ينظر: لباب التأويل ١٩٣/١

من خصائص الله عز وجل، فالتركيز في الآية منصب على الموضوع الأهم، وهو إظهار قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى، وليس ذلك لأحد غيره، فالإحياء والإماتة من أخص صفات الرب، وليست لأحد سوى الله تعالى، وليس التركيز أين حصلت القصة، فليس في تسمية القرية كبير فائدة، والعلم باسمها والجهل به سواء، وإنما العظة والعبرة بما حصل لها، وأن ذلك قد يحصل غيرها.

٤- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١)

في هذه الآية يخبر تعالى أن القصص التي أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- هي من أخبار الغيب التي أوحاها إليه، ومن ضمنها قصة مريم، فهو لم يكن مع كافيها حين اختلفوا أيهم أحق بكفالتها، ولم يكن معهم حين تخصصوا فيما بينهم، وأجروا القرعة بإلقاء أقلامهم. (٢)

الإشارة في قوله تعالى: {ذَلِكَ} إشارة إلى ما سلف من القصص، وما فيه من معنى البعد؛ للتبنيهِ على علو شأن المشار إليه، وتُعد منزلته في الفضل، والمعنى أن الذي مضى ذكره من حديث حنة -والدة مريم- وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم، إنما هو من أخبار الغيب فلا يمكنك أن تعلمه إلا بالوحي. (٣)

والفرق بين الأنبياء والإيحاء: أن الأنبياء هو الإخبار عما غاب عن الشخص، أما الإيحاء فهو تعريف الموحى إليه بأمر خفي من إشارة أو كتابة أو

(١) سورة آل عمران ٤٤

(٢) ينظر: التفسير الميسر ٥٥

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٢١٩/٨؛ ينظر: إرشاد العقل السليم ٣٥/٢

غيرهما. (١)

والضمير في {تُوحِيهِ} عائد على الغيب، أي: الأمر والشأن أنا نوحى إليك الغيب ونعلمك به، ونظرك على قصص من تقدمك، مع عدم مدارستك لأهل العلم والأخبار، ولذلك أتى بالمضارع، ويكون أكثر فائدة من عوده على: ذلك، إذ يشتمل ما تقدم من القصص وغيرها التي يوحىها إليه في المستقبل. (٢)

وكررت لفظة {لَدَيْهِمْ} زيادة في تعظيمه -صلى الله عليه وسلم-، وتنبهت على أنه مما يستغرب جداً حتى عند أهل الاصطفاء أن يكون النبي -عليه الصلاة والسلام- حاضراً لتلك القصة، وزيادة في تقرير الحجة على اليهود، ونفى لما نفيه معلوم ضرورة، تهكماً بالمنكرين. (٣)

وأخبر تعالى أن هذه القصص وردت للنبي -صلى الله عليه وسلم- عن طريق الوحي، وأكد ذلك في هذه الآية، ونفى عنه المشاهدة، وما ذلك إلا لأنه كان معلوماً عند اليهود علماً يقينياً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكرين للوحي الذي جاء به، فلم يبق إلا المشاهدة، وهي وإن كانت في غاية الاستبعاد إلا أنها نفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع ولا قراءة. (٤)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢١٩/٨

(٢) ينظر: الدر المصون ١٧٠/٣؛ ينظر: البحر المحيط ١٥٠/٣

□□□ ينظر: نظم الدرر ٣٩٤/٤؛ ينظر: قطف الأزهار ٥٩٠/١

□□□ ينظر: مفاتيح الغيب ٢١٩/٨

وفي قوله تعالى: {يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ} كناية عن القرعة بين الحاضرين، لفك التخاصم والجدال الحاصل بينهم، لأجل من يظفر برعاية وكفالة مريم، والقيام على شؤونها.

وفي قوله: {أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} حذف، دل عليه قوله: {يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ}، والتقدير: يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم، وحسن هذا الحذف لكونه معلوماً. (١)

والفعل المضارع {يَخْتَصِمُونَ} يدل على التجدد والاستمرار، فمن شدة رغبتهم في التكفل بشأن مريم، والقيام بإصلاح أمورها، اختصموا أكثر من مرة، يقول الرازي: "فيحتمل أن يكون المراد بهذا الاختصام ما كان قبل الإقراع، ويحتمل أن يكون اختصاماً آخر حصل بعد الإقراع، وبالجملة فالمقصود من الآية شدة رغبتهم في التكفل بشأنها، والقيام بإصلاح مهماتها." (٢)

وشاهد هذه الآية، والمكان الذي لم يُسمَّ فيها: هو مكان اقتراع كافلي مريم، ومكان إلقاء أقلامهم، فقيل: في نهر بجلب يقال له: قرقم. (٣)

وسبب عدم تسمية المكان أنه لا فائدة معينة من ذكره، إنما الغرض في الآية الفائدة هو التأكيد على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- تلقى هذا النبأ بالوحي، فلم يقرأه، ولم يشاهده، ولم يكن موجوداً مع القوم حين ألقوا أقلامهم، كل ذلك تأكيد على صدق نبوته -صلى الله عليه وسلم-، فهذا هو

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٢٠/٨؛ ينظر: إرشاد العقل السليم ٣٦/٢

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٢٠/٨

(٣) ينظر: مفحمت الأقران ٢٤

الغرض الأسمى، وهذه هي الفائدة، فليس في ذكر المكان أو تحديده فائدة أو أهمية قصوى.

٥- قال تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١)

يأمر تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يسأل اليهود عن خبر أهل القرية التي كانت قرب البحر، إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على ما حرمه الله عليهم فيه، وهو صيد السمك، إذ كانت حيتانهم تأتيهم يوم السبت كثيرة طافية على وجه البحر، وإذا ذهب يوم السبت تذهب الحيتان في البحر، ولا يرون منها شيئاً، وهذا امتحان وابتلاء لهم، فكانوا يجتالون على حبسها في يوم السبت، ويصطادونها في اليوم الذي بعده، وهذا الاختبار والابتلاء، بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها. (٢)

بدأت الآية بجملة إنشائية طلبية، بصيغة فعل الأمر {وَسَلِّمْ}، والمعنى: اسأل اليهود عن هذه القرية، والسؤال للتقرير والتوبيخ، تقريراً لحالهم، وتنبهاً لهم على أن إصرارهم على الكفر بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبمعجزاته ليس شيئاً حديثاً، بل هذا الكفر والإصرار كان حاصلاً في أسلافهم من الزمان القديم. (٣)

(١) سورة الأعراف ١٦٣

(٢) ينظر: التفسير الميسر ١٧١

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٣١٠/١؛ ينظر: مفاتيح الغيب ٣٩٠/١٥

وفي لفظة {الْقَرْيَةِ} مجاز مرسل علاقته المحلية، فالمعنى المراد وأسألهم عن أهل القرية، والتعريف بـ آل للعهد، فهم يعرفون هذه القرية، وهي مذكورة في كتبهم، وعندهم منها خبر.

ومعنى {حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} الحضور نقيض الغيبة، أي: التي هي مجاورة البحر، وبقره وعلى شاطئه، والحضرة: قرب الشيء.^(١) وجاء الفعل {يَعْدُونَ} بصيغة المضارع الذي يدل على التجدد والاستمرار، للدلالة على تكرار ذلك منهم كل سبت.

وجاءت لفظة {شُرْعًا} بمعان متعددة، فهي جمع شارع، ومن معانيها: أنها تخفض وترفع رؤوسها للشرب، وأنها تدنو من الشواطئ فتكون قريبة منهم، وأنها متتابعة مصطفة^(٢)، وفيها كناية عن كثرة ما يرد منها يوم السبت، والباء في {بِمَا كَانُوا} سببية، وما مصدرية، أي: نبلوهم بسبب فسقهم^(٣)، وجاء الفعل {يَفْسُقُونَ} بصيغة المضارع، الذي يدل على التجدد والاستمرار، ففيه دلالة على فسوق بني إسرائيل المستمر، وخروجهم عن طاعة الله، فكأنه صار جبلة وطبعاً عندهم.

والمكان الذي لم يُسمَّ في هذه الآية هو: القرية، قال ابن عباس: هي أيلة، وقيل هي: قرية يقال لها مدين، بين أيلة والطور، وقيل: يقال لها مقنا، بين

(١) ينظر: التفسير البسيط ٤٠٩/٩

(٢) ينظر: مجمل اللغة مادة شرع؛ معجم مقاييس اللغة مادة شرع؛ الصحاح مادة شرع

(٣) ينظر: الدر المصون ٤٩٤/٥

مدین وعینونا، وقیل: طبریة. (١)

وسبب عدم تحديد مكان القرية: أنه ليس في تحديده وتعيينه فائدة، فبني إسرائيل يعرفون خبرها، ويكتمون أمرها، فهذه القصة ليست في كتب اليهود، ولكنها مروية عن أحبارهم، والأمر بسؤالهم من قبل النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لإشعارهم بأن الله أطلع نبيه عليها.

والغرض من الآية التأكيد على صدق نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأن الله يطلع على أخبار اليهود المغيبة عن طريق الوحي، ومن أغراض الآية: الموعظة والعبرة من فعل بني إسرائيل، فالله عز وجل ذكر امتحانه لهم، ومدى طاعتهم لأوامره، بشيء تشتهيهم أنفسهم، وقريب منهم، لكنه ممنوع ومحرم عليهم، والمصير الذي آل إليه حالهم؛ بسبب عصيانهم واحتياهم، وهذا مصير كل من عصى الله، وخالف أمره.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٥/٣٩٠؛ ينظر: مفحومات الأقران ٤٦

الختامة:

هذا البحث تناول موضوع المبهمات المكانية في نماذج من قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن الكريم، وأسرارها البيانية، وفوائدها وأغراضها البلاغية. وقد خرج هذا البحث بنتائج عديدة، من أبرزها:

- علم المبهمات من أجل العلوم وأشرفها، وقد تطرق له سلف الأمة، وأولوه عناية كبيرة.

- بيان أسرار المبهمات المكانية في القصص القرآني يساعد على التأمل والنظر في الإعجاز القرآني.

- من أكثر المواضع التي وردت فيها المبهمات المكانية هي القصص وأخبار الأمم السابقة.

- من أهم أسباب الإبهام المكاني في القصص القرآني هو: عدم وجود فائدة كبيرة في تعيينه، أو لكونه معروفاً ومشتهراً، فلا حاجة لإعادة ذكره.

- من الأسرار البلاغية في شواهد المبهمات المكانية في القصص القرآني: التأكيد على أمر مهم، أو التذكير بشيء عظيم، أو العظة والاعتبار، أو التهويل والترهيب، أو النصح والإرشاد.

ومن أهم التوصيات:

١- التركيز على الدراسات التطبيقية للفنون والأساليب البلاغية الواردة في القرآن الكريم، وإبراز السمات والظواهر لتلك الفنون والأساليب.

٢- توظيف الظواهر البلاغية في خدمة القرآن الكريم، وبيان وظيفتها، وصلة دلالتها بالسياق.

٣- دراسة علم المبهمات بأنواعه المختلفة في القرآن الكريم دراسة بيانية،
تكشف عن أسراره، وتبرز ظواهره.

٤- دراسة القصص القرآني، واستخراج ما فيها من أساليب وأسرار.
وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد.

المصادر والمراجع:

- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، د.ط عام ١٣٩٤هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي: بيروت د.ط د.ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، عام ١٤٢٤هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، د.ط، عام ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه: القاهرة، ط ١، عام ١٣٧٦هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزى الغرناطي، تحقيق: د.عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت، ط ١، عام ١٤١٦هـ.
- التعريف والإعلام فيما أبهم من السماء والأعلام في القرآن، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، عام ١٤٠٧هـ.
- تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي، تحقيق:

- د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية: تونس، ط ١، ١٩٨٦ م.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، ط ١، عام ١٤٣٠ هـ.
- تفسير مبهمات القرآن، الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، محمد بن علي البلنسي، تحقيق: حنيف حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط ١، عام ١٤١١ هـ.
- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: السعودية، ط ٢، عام ١٤٣٠ هـ.
- التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، أحمد بن محمد البسيلي، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، د. ط. د. ت.
- التكميل والإتمام، محمد بن علي الغساني ابن عسكر، تحقيق: حسن مروة، دار الفكر: دمشق، ط ١، عام ١٤١٨ هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ١، عام ١٤٢٠ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط ٢، عام ١٣٨٤ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط ١، عام ١٤٢٢ هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن

عبد الدائم السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم: دمشق
د. ط. د. ت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود
بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية:
بيروت، ط ١، عام ١٤١٥ هـ.

- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هندراوي،
دار القلم: دمشق، ط ٢، عام ١٤١٣ هـ.

- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،
تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط ٤،
عام ١٤٠٧ هـ.

- غرر التبيان في من لم يُسم في القرآن، بدرالدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة،
تحقيق: د. عبدالجواد خلف، دار قتيبة: دمشق، ط ١، عام ١٤١٠ هـ.

- قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر
السيوطي، تحقيق: د. أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية: قطر، ط ١، عام ١٤١٤ هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار
الكتاب العربي: بيروت، ط ٣، عام ١٤٠٧ هـ.

- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن
عمر الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١،
عام ١٤١٥ هـ.

- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر: بيروت، ط ٣، عام ١٤١٤ هـ.
- لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط ٣، د.ت.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ٢، عام ١٤٠٦ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، عام ١٤٢٢ هـ.
- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث: بيروت، ط ٣، عام ١٤٢٠ هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، عام ١٤٠٨ هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر: دمشق، بيروت، د.ط عام ١٣٩٩ هـ.
- مفحومات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن: دمشق، بيروت، ط ١، عام ١٤٠٣ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية: دمشق/ بيروت، ط ١،

عام ١٤١٢هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، د.ط. د.ت.
- النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية: بيروت، د.ط. د.ت.

References:

- al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān, Jalāl al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr al-Suyūfī, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb : al-Qāhirah, D. Ṭ ‘ām 1394h.
- Irshād al-‘aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Abū al-Sa‘ūd al-‘Imādī Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá, Dār Iḥyá’ al-Turāth al-‘Arabī : Bayrūt D. Ṭ D. t.
- al-Īdāh fī ‘ulūm al-balāghah, Jalāl al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd-al-Raḥmān al-Qazwīnī, taḥqīq : Ibrāhīm Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al‘lymh : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1424h.
- al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf al-Andalusī, taḥqīq : Šidqī Muḥammad Jamīl, Dār al-Fikr : Bayrūt, D. Ṭ, ‘ām 1420h.
- al-burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān, Badr al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd Allāh al-Zarkashī, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār Iḥyá’ al-Kutub al-‘Arabīyah, ‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā’ih: al-Qāhirah, Ṭ1, ‘ām 1376h.
- al-Tas’hīl li-‘Ulūm al-tanzīl, Muḥammad ibn Aḥmad Ibn Juzayy al-Gharnāṭī, taḥqīq : D. Allāh al-Khālidī, Sharikat Dār al-Arḡam ibn Abī al-Arḡam : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1416h.
- al-ta’rīf wa-al-I’lām fīmā abhm min al-samā’ wa-al-a’lām fī al-Qur’ān, li-Abī al-Qāsim ‘Abd-al-Raḥmān ibn Allāh al-Suhaylī, taḥqīq : ‘bd’ Muhannā, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1407h.
- tafsīr al-Imām Ibn ‘Arafah, Muḥammad ibn Muḥammad Ibn ‘Arafah al-Warḡamī al-Tūnisī, taḥqīq : D. Ḥasan al-Mannā’ī, Markaz al-Buḥūth bi-al-Kullīyah al-Zaytūnah : Tūnis, Ṭ1, 1986m.
- al-tafsīr al-basīṭ, ‘Alī ibn Aḥmad al-Wāḥidī, ‘Imādat al-Baḥth al-‘Ilmī-Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah : al-Riyāḍ, Ṭ1, ‘ām 1430h.
- tafsīr mubhamāt al-Qur’ān, al-mawsūm Baṣalah al-jam‘ wa-‘ā’id al-Tadhyīl li-mawṣūl Kitābī al-I’lām wa-al-takmīl, Muḥammad ibn ‘Alī al-Balansī, taḥqīq : Ḥanīf Ḥasan al-Qāsimī, Dār al-Gharb al-Islāmī : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1411h.
- al-tafsīr al-muyassar, nukhbah min asātidhat al-tafsīr, Majma‘ al-Malik Fahd li-Ṭībā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf : al-Sa‘ūdīyah, t2, ‘ām 1430h.
- al-Taḡyīd al-kabīr fī tafsīr Kitāb Allāh al-Majīd, Aḥmad ibn Muḥammad al-Basīlī, Kullīyat uṣūl al-Dīn, Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah : al-Riyāḍ, D. Ṭ D. t.
- al-takmīl wa-al-itmām, Muḥammad ibn ‘Alī al-Ghassānī Ibn ‘Askar, taḥqīq : Ḥasan Marwah, Dār al-Fikr : Dimashq, Ṭ1, ‘ām 1418h.

- Jāmi‘ al-Bayān fī Ta’wīl al-Qur’ān, Muḥammad ibn Jarīr al-Ṭabarī, taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākīr, Mu’assasat al-Risālah : Bayrūt Ṭ1, ‘ām 1420h.
- al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, Muḥammad ibn Aḥmad al-Qurtubī, taḥqīq : Aḥmad albrdwny-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah : al-Qāhirah, ṭ2, ‘ām 1384h.
- Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr, ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī ibn Muḥammad al-Jawzī, taḥqīq : ‘Abd-al-Razzāq al-Mahdī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1422h.
- al-Durr al-maṣūn fī ‘ulūm al-Kitāb al-maknūn, Shihāb al-Dīn, Aḥmad ibn Yūsuf ibn ‘Abd al-Dā’im al-Samīn al-Ḥalabī, taḥqīq : D. Aḥmad Muḥammad al-Kharrāt, Dār al-Qalam : Dimashq D. Ṭ D. t.
- Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Azīm wa-al-Sab‘ al-mathānī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn Allāh al-Alūsī, taḥqīq : ‘Alī ‘Abd al-Bārī ‘Aṭīyah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1415h.
- Sirr ṣinā‘at al-‘rāb, Abū al-Faṭḥ ‘Uthmān ibn Jinnī, taḥqīq : D. Ḥasan Hindāwī, Dār al-Qalam : Dimashq, ṭ2, ‘ām 1413h.
- al-ṣiḥāḥ : Ṭāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah, Abū Naṣr Ismā‘īl ibn Ḥammād al-Jawharī, taḥqīq : Aḥmad ‘bdālghfwr ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn : Bayrūt, Ṭ 4, ‘ām 1407h.
- Ghurar al-Tibyān fī min lam yusamma fī al-Qur’ān, Badr-al-Dīn Muḥammad ibn Ibrāhīm Ibn Jamā‘at, taḥqīq : D. Abdoldjavad Khalaf, Dār Qutaybah : Dimashq, Ṭ1, ‘ām 1410h.
- Qaṭf al-azhār fī Kashf al-asrār, Jalāl al-Dīn ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr al-Suyūfī, taḥqīq : D. Aḥmad ibn Muḥammad al-Ḥammādī, Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu‘ūn al-Islāmīyah : Qaṭar, Ṭ1, ‘ām 1414h.
- al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl, Maḥmūd ibn ‘Amr al-Zamakhsharī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī : Bayrūt, ṭ3, ‘ām 1407h.
- Lubāb al-ta’wīl fī ma‘ānī al-tanzīl, ‘Alā’ al-Dīn ‘Alī ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn ‘Umar al-Khāzin, taḥqīq : Muḥammad ‘Alī Shāhīn, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1415h.
- Lisān al-‘Arab, Abū al-Faḍl Muḥammad ibn Mukarram ibn ‘Alī Ibn manzūr, Dār Ṣādir : Bayrūt, ṭ3, ‘ām 1414h.
- Laṭā’if al-Ishārāt, ‘Abd-al-Karīm ibn Hawāzin al-Qushayrī, taḥqīq : Ibrāhīm al-Basyūnī, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb : Miṣr, ṭ3, D. t.
- Mujmal al-lughah, Aḥmad ibn Fāris al-Rāzī, taḥqīq : Zuhayr ‘bdālmḥsn Sulṭān, Mu’assasat al-Risālah : Bayrūt, ṭ2, ‘ām 1406h.
- al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, ‘bdālḥq ibn Ghālīb ibn ‘Abd-al-Raḥmān ibn Tammām ibn ‘Aṭīyah, taḥqīq : ‘Abd al-Salām ‘Abd al-Shāfi Muḥammad, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah : Bayrūt, Ṭ1, ‘ām 1422H.

- Mafātīḥ al-ghayb al-tafsīr al-kabīr, Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn ‘Umar al-Rāzī, Dār Iḥyā’ al-Turāth : Bayrūt, ٣, ‘ām 1420h.
- 33- Mu‘tarak al’qrān fī I’jāz al-Qur’ān, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah : Bayrūt, ٢1/1408h.
- Mu‘jam Maqāyīs al-lughah, Aḥmad ibn Fāris al-Rāzī, taḥqīq : ‘Abdussalām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr : Dimashq / Bayrūt, D. ٢ ‘ām 1399h.
- Mufḥimāt al’qrān fī mubhamāt al-Qur’ān, Jalāl al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr al-Suyūṭī, taḥqīq : Muṣṭafá Dīb al-Bughā, Mu’assasat ‘ulūm al-Qur’ān : Dimashq / Bayrūt, ٢1, ‘ām 1403h.
- al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Rāghib al-Aṣfahānī, taḥqīq : Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah : Dimashq / Bayrūt, ٢1, ‘ām 1412h.
- nazm al-Durar fī tanāsib al-āyāt wa-al-suwar, al-Biqā‘ī : Ibrāhīm ibn ‘Umar al-Biqā‘ī, Dār al-Kitāb al-Islāmī : al-Qāhirah, D. ٢ D. t.
- al-Nukat wa-al-‘uyūn, ‘Alī ibn Muḥammad ibn Muḥammad ibn Ḥabīb al-Māwardī, taḥqīq : al-Sayyid ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah : Bayrūt, D. ٢ D. t.